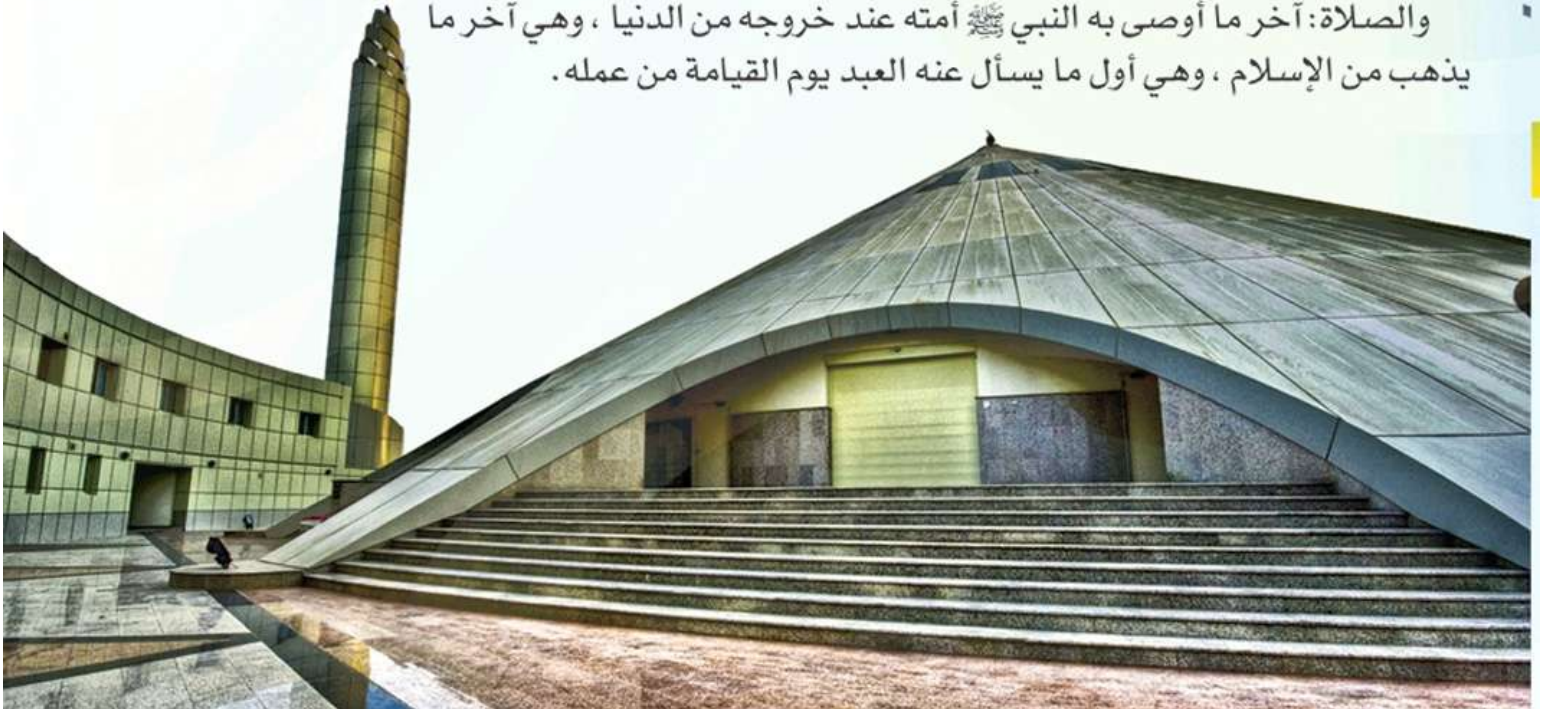


في الصلاة - الخشوع

الحمد لله و صلاة و السلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم .. أما بعد :
فإن الله تعالى قد عظم الصلاة في القرآن ، وعظم أمرها و شرفها و وشرف
أهلها ، وخصها بالذكر من بين الطاعات كلها في مواضع من القرآن كثيرة ، وأوصى
بها خاصة .

والصلاة: آخر ما أوصى به النبي ﷺ أمته عند خروجه من الدنيا ، وهي آخر ما
يذهب من الإسلام ، وهي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من عمله .



الخشوع

إن المقصود الأعظم من الصلاة وروحها : الخشوع ، وهو : حضور القلب فيها بين يدي الله تعالى محبة له وإجلالا وخوفا من عقابه ، ورغبة في ثوابه ، مستحضرا لقربه ، فيسكن لذلك قلبه ، وتطمئن نفسه ، وتسكن حركاته : متأدبا بين يدي ربه ، مستحضرا جميع ما يقوله و يفعله في صلاته ، من أولها إلى آخرها ، فتزول بذلك الوسواس والأفكار .

وهذا أمر تهاون به الناس في هذه الأيام . فكثير من الناس من حين ما يدخل في الصلاة ، يبدأ قلبه يتجول يمينا و شمالا في التفكير و الهواجس . ولهذا تجده يخرج من صلاته ، وما استتار بها قلبه ، ولا قرت بها عينه ، ولا انشرح بها صدره ، ولا قوي بها إيمانه .

أسباب الخشوع في الصلاة

قال الله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ • الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ المؤمنون ٢ ، فلا يرجو الفلاح إلا الخاشعون ، جعلنا الله منهم ، فمن فاته خشوع الصلاة ، لم يكن من أهل الفلاح .

● وأصل الخشوع : هو لين القلب ورقته وسكونه وخضوعه وانكساره ، فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح .

● ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه في الصلاة : « اللهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، خشع لك سمعي و بصري ، ومخي وعظمي وعصبي » رواه مسلم . ولذلك كان رسول الله ﷺ يستعيز بالله من قلب لا يخشع .

● وأول ما تفقد هذه الأمة الخشوع ، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أول شيء يرفع من هذه الأمة الخشوع ، حتى لا ترى فيها خاشعا » رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع .

وهذا والله أعلم يعود لسببين :

الأول : عدم تذكير الدعاة و طلبة العلم الناس بالخشوع في الصلاة .

الثاني : كثرة الفتن المرئية و المسموعة في هذا الزمان العصيب .

مراتب الناس في الخشوع

والخاشعون درجات ، والخشوع من عمل القلب يزيد وينقص فمنهم من يبلغ خشوعه عنان السماء ومنهم من يخرج من صلاته لم يعقل شيئا ، والناس في الصلاة على مراتب خمسة :

■ **أحدها :** مرتبة الظالم لنفسه المفرط ، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقبتها وحدودها وأركانها .

■ **الثاني :** من يحافظ على مواقبتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها ، لكنه قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة ، فذهب مع الوسواس والأفكار .

■ **الثالث :** من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوسواس والأفكار ، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته ، فهو في صلاة وجهاد .

■ **الرابع :** من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها ، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيئا منها ، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها ، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها .

■ **الخامس :** من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك ، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضع بين يدي ربه عز وجل ، ناظرا بقلبه إليه ، مراقبا له ، ممتلئا من محبته وعظمته ، كأنه يراه ويشاهده ، وقد اضمحلت تلك الوسواس والخطرات ، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه ، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أعظم مما بين السماء والأرض ، وهذا في صلاته مشغول بربه عز وجل قرير العين به .

فالقسم الأول معاقب ، والثاني محاسب ، والثالث مكفر عنه ، والرابع مثاب ، والخامس مقرب من ربه ، لأن له نصيبا ممن جعلت قرّة عينه في الصلاة ، فمن قرّت عينه بصلاته في الدنيا ، قرّت عينه بقربه من ربه عز وجل في الآخرة ، وقرّت عينه أيضا به في الدنيا ، ومن قرّت عينه بالله قرّت به كل عين ، ومن لم تقرّ عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات .

الأسباب التي تعين على الخشوع

■ السبب الأول : الاستعداد للصلاة قبل دخول الوقت

وهذا يكون بعدة أمور:

أولاً: إسباغ الوضوء: كلنا يتوضأ إذا أراد الصلاة ، ولكن أكثر الأحيان يريد الإنسان أن يقوم بشرط العبادة فقط ، وهذا لا بأس به ، ويحصل به المقصود ، ولكن هناك شيء أعلى وأتم :

١- إذا أردت أن تتوضأ ، استشعر أنك ممثّل لأمر الله في قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ المائدة ٦ . حتى يتحقق لك معنى العبادة .

٢- إذا توضأت استشعر أنك متبع لرسول الله ﷺ فإنه قال : « من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم صلى ركعتين ، لا يحدث فيهما نفسه ، غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه البخاري ومسلم . حينئذ يكون الإخلاص و المتابعة .

٣- احتسب الأجر على الله عز وجل بهذا الوضوء ، لأن هذا الوضوء يكفر الخطايا ، فتخرج الخطايا من اليد مع آخر قطرة من قطرات الماء بعد غسل اليد ، وهكذا البقية .

هذه المعاني الثلاثة العظيمة الجليلة ، أكثر الأحيان تغفل عنها .

ثانياً: تطيب رائحة الفم و الأسنان : إن تطيب الفم بالسواك : فيه التهيؤ للوقوف بين يدي الله تعالى .

عن أبي هريرة ؓ : أن رسول الله ﷺ قال : « لولا أشق على أمتي - أو على الناس - لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة » رواه البخاري ومسلم .

ثالثاً : التزین للصلاة : عن ابن عمر ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا صلى أحدكم فليلبس ثوبه ، فإن الله أحق من تزين له » رواه البيهقي وصححه الألباني .

■ السبب الثاني: قطع الحركة والعبث ، وملازمة السكون

عن أبي هريرة ؓ : أن رسول الله ﷺ قال : « لينتهين أقوام عن رفعهم أبصارهم عند الدعاء في الصلاة إلى السماء ، أو لتخطفن أبصارهم » رواه مسلم .

فلما كان رفع البصر إلى السماء ، ينافي الخشوع ؛ حرمة النبي ﷺ وتوعد عليه .

■ السبب الثالث: أن يستحضر العبد أنه واقف بين يدي الله تعالى ، وأن يناجيه .

عن البياضی ؓ : أن رسول الله ﷺ قال : « أن المصلي يناجي ربه ، فلينظر بما يناجيه به » رواه مالك بسند صحيح

لا بد من مراقبة الله تعالى ليستقيم أمر الصلاة ، لا بد أن نضع الدنيا وراء ظهورنا ، وماذا لو علم الشخص أن كلماته المسموعة ، وأنها بالغة السلطان لا محالة ، ماذا سيقولون ؟ وكيف يتكلم ؟ ألا تجده يزن الحروف والكلمات ؟ فكيف بمن سيمثل أمام السميع البصير العليم ، الذي لا تخفى عليه خافية ؟ !

■ السبب الرابع : أن يستحضر العبد أن الله قريب منه يراه ويسمعه .

عن ابن عمر ؓ : أن رسول الله ﷺ رأى بصاقاً في جدار القبلة فحكه ، ثم أقبل على الناس فقال : « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه ، فلا يبصق قبل وجهه » رواه البخاري ومسلم .

ومقصود النبي ﷺ بذكر هذا : أن يستشعر المصلي في صلاته قرب الله منه ، وأنه بمرأى منه و مسمع ، وأنه مناج له ، وأنه يسمع كلامه و يرد عليه جواب مناجاته له .

■ السبب الخامس : إحضار القلب فيها ، وعدم انشغاله بعلوم الدنيا وأعمالها ، وأن يقبل بقلبه على الله تعالى ، ولا يشتغل بغير صلاته .

عن عقبة بن عامر ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ، ثم يقوم فيصلّي ركعتين : مقبل عليهما بقلبه ووجهه ، إلا وجبت له الجنة » رواه مسلم . . ولهذا جاء النهي عن الالتفات في الصلاة ، وهو نوعان :

أحدهما : الالتفات القلب عن الله تعالى : بأن ينصرف إلى الدنيا و أشغالها ، ولا يتفرغ لربه تعالى .

النوع الثاني : الالتفات بالنظر يميناً وشمالاً ، والمشروع قصر النظر على موضع سجوده لأن ذلك من لوازم الخشوع ، ويقطع عنه الاشتغال بالمناظر التي حوله .

■ السبب السادس : ذكر الموت :

عن أنس رضي الله عنه قال : رسول الله ﷺ : « اذكر الموت في صلاتك ، فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته ، لحري أن يحسن صلاته ، وصل صلاة رجل ، لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها » رواه الديلمي وحسنه الألباني .
فانظروا - يرحمني الله وإياكم - إلى صلاتنا ، أهى حسنة أم لا ؟

عن أبي أيوب رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ، علمني وأوجز . قال : « إذا قمت في صلاتك ، فصل صلاة مودع » رواه ابن ماجة وحسنه الألباني يعني : يستشعر أنه يصلي صلاة لا يصلي بعدها صلاة أخرى ، فيجمله ذلك على إتقانها و تكميلها وإحسانها .

■ السبب الثامن : أن يعلم العبد بأن روح الصلاة ومقصودها الأعظم ، حضور القلب بين يدي الله ، ومناجاته بكلامه ، وذكره والثناء عليه ، ودعاؤه والتضرع إليه ، وطلب القربة عنده ، ورجاء ثوابه .

وأن الصلاة بلا خشوع ، كالجسم بلا روح ، وكالقشور بلا لب ، أفلا يستحيي العبد أن يواجه سيده بمثل ذلك؟!

ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ : « إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته ، تسعها ، ثمنها ، سبعها ، سدسها ، خمسها ، ربعها ، ثلثها ، نصفها » رواه أبو داود .

يعني والله أعلم أن ذلك على حسب حضور قلبه فيها ، وإحسانها .

■ السبب السابع : أن يعلم العبد أن الشيطان حريص على صرف قلب المصلي عن الله تعالى .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط ، فإذا قضي أقبل ، فإذا ثوب بها أدبر ، فإذا قضي أقبل : حتى يخطر بين الإنسان وقلبه ، فيقول : اذكر كذا و كذا » رواه البخاري ومسلم .

فتأمل في صلاتك و انظر هل تفرغ قلبك لله ، تصلي لله تعالى كأنك تراه ، قد اجتمع همك كله على الله ، و صار ذكره و مراقبته و محبته ، و الأنس به في محل الوسواس أم لا ؟ .

■ السبب التاسع : أن يعلم العبد أن الصلاة أول ما يحاسب عليه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح و أنجح ، وإن فسدت فقد خاب و خسر » رواه الترمذي وصححه الألباني .

● قال ابن القيم رحمه الله : للعبد بين يدي الله موقفان : موقف بين يديه في الصلاة ، و موقف بين يديه يوم لقائه ، فمن قام بحق الموقف الأول هون عليه الموقف الآخر ، ومن استهان بهذا الموقف و لم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ اللَّيْلُ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا • إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ الإنسان : ٢٧ .

كان حذيفة رضي الله عنه يقول : إياكم وخشوع النفاق . فقليل له : وما خشوع النفاق؟ قال : أن ترى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع .

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله : والخشوع له أسباب ، وعدمه له أسباب ، فللخشوع أسباب وهي : الخضوع بين يدي الله ، وأن تذكر أنك واقف بين يديه سبحانه وتعالى ، وقد ورد في الحديث الصحيح : « إذا كبر أحدكم فلا يمسح الحصى فإن الرحمة تواجهه » رواه الترمذي ، وفي لفظ آخر : « إذا قام أحدكم في الصلاة فإنه يناجي ربه » رواه البخاري ومسلم ،

فالإنسان إذا دخل في الصلاة فإنه يناجي ربه فيتذكر هذا المقام العظيم ، وأنه بين يدي الله ، فليخشع لله ، وليقبل على صلاته ، وليتذكر عظمة الله عز وجل ، وأنه بين يدي أعظم عظيم سبحانه وتعالى ، وليقبل على صلاته وليقبل على قراءته وعلى سجوده وركوعه ، ويتذكر كل ما يلزم في هذا المقام ، وأن غفلته عن الله تنقص صلاته فينبغي له أن يتذكر ذلك حتى تزول عنه الغفلة وحتى تزول عنه الوسواس ، ويسأل ربه العون على هذا في سجوده ، وفي آخر التحيات يقول : اللهم أعني على الخشوع ، اللهم يسر لي الخشوع ، اللهم أعطني من الشيطان ومن شر نفسي يسأل ربه ، ويستعين به سبحانه وتعالى . مجموع فتاوى و مقالات متنوعة الجزء الحادي عشر

